وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للبنات
قسم اللغة العربية

# عنوان المحاضرة

## ( أدب عصر ما قبل الاسلام )

اسم التدريسي

م. د. رغده عامر ياسين

الايميل الجامعي:- raghda.yaseen@tu.edu.iq

١٤٤٦ هـ ٢٠٢٥م

# النثر الجاهلي

## صور النير الجاهلي

حين نتحدث عن النثر الجاهلي ننحى النثر العادي الذى يتخاطب به الناس في شئون حياتهم اليومية فإن هذا الضرب من النثر لا يعد شيء منه أدبا إلا ما قد أمثال ، إنما الذى يعد أدبا حقا هو النثر الذي يقصد به صاحبه إلى يجرى فيه من التأثير في نفوس السامعين والذى يحتفل فيه من أجل ذلك بالصياغة وجمال الأداء ، وهو أنواع ، منه ما يكون قصصا وما يكون خطابة وما يكون رسائل أدبية محبرة . ويسمى بعض الباحثين النوع الأخير باسم النثر الفني .

وليس بين أيدينا وثائق جاهلية صحيحة تدل على أن الجاهلين عرفوا الرسائل الأدبية وتداولوها ، وليس معنى ذلك أنهم لم يعرفوا الكتابة ، فقد عرفوها ، غير أن صعوبة وسائلها جعلتهم لا يستخدمونها في الأغراض الأدبية الشعرية والثرية ، ومن ثم استخدموها فقط في الأغراض السياسية والتجارية. ولا ينقض ذلك ما جاء في السيرة النبوية من أن سويد بن الصامت قدم مكة حاجا أو معتمراً .. فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام ، فقال له سويد : فلعل الذى معك مثل الذى معي ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما الذى معك ؟ قال : مجلة لقمان ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها على ، فعرضها عليه فقال له : إن هذا لكلام حسن، والذى معي أفضل من هذا : قرآن أنزله الله على، هو هدى ونور ، فتلا عليه رسول الله القرآن، ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه ، وقال : إن هذا القول حسن...

وهذا الخبر إنما يفيد أنه كان عندهم صحيفة بها بعض أمثال وحكم مما كانوا ينسبوه إلى لقمان ، ووجود مثل هذه الصحيفة لا يدل على أنهم استخدموا الكتابة نثرا في التعبير عن وجدانهم نثراً وشعرا ، فقد كانت محدودة الانتشار بينهم ، ومن نزعم ذلك لمجرد الظن ، بينما تنقصنا أو تعوزنا النصوص الحسية . وإذا كنا نفتقد الأدلة المادية على وجود رسائل أدبية في العصر الجاهلي فمن المحقق أنه ألوان مختلفة من القصص والأمثال والخطابة وسجع الكهان . ومن المؤكد أنهم كانوا يشغفون بالقصص شغفا شديدا . وساعدتهم على ذلك أوقات فراغهم الواسعة في الصحراء ، فكانوا حين يرخى الليل سدوله يجتمعون للسمر ، ما يبدأ احدهم في مضرب من مضارب خيامهم بقوله : كان وكان ، حتى يرهف أسماعهم إليه ، وقد يشترك بعضهم معه في الحديث ، وشباب الحي وشيوخه ونساؤه وفتياته المخدرات وراء الأخبية كل هؤلاء يتابعون الحديث في شوق ولهفة .

ومن غير شك كان يفيض القصاص على قصصه من خياله وفنه، حتى يبهر سامعيه ، وحتى يملك عليهم قلوبهم فيحولهم من الشفقة إلى محبة الانتقام ومن الضحك إلى الجد، وعيونهم تلمع في وجوههم السمر وقلوبهم تخفق من أن إلى آن. وليس بين أيدينا شيء من أصول هذا القصص الذي كان يدور بينهم ، غير أن اللغويين والرواة في العصر العباسي دونوا لنا ما انتهى إليهم منه . وطبيعي أن تتغير وتتحرف أصوله في أثناء هذه الرحلة الطويلة التي قطعها من العصر الجاهلي إلى القرن الثاني الهجري ، وإن كان من الحق أنها لا تزال تحتفظ بكثير من سمات القصص القديم ولا تزال تنبض بروحه وحيويته . ويمكننا بواسطة ما دونه العباسيون أن نعرف ألوان هذا القصص الذي كانوا يتناقلونه بينهم ، وربما كان أكثر هذه الألوان شيوعا على ألسنتهم أيامهم وحروبهم وما سجله أبطالهم فيها من انتصارات مروعة وما منيت به بعض قبائلهم من هزائم منكرة. وقد ظلوا يقصون هذه الأيام والحروب إلى أن تناولها منهم لغويو القرن الثاني للهجرة ورواته ، فدونوها تدوينا منظما على نحو ما هو معروف عن أبي عبيدة في شرحه لنقائض جرير والفرزدق ، وتوالي من بعده التأليف فيها والعناية بها على نحو ما تقدم في غير هذا الموضع وكانوا يقصون كثيرا عن ملوكهم من المناذرة والغساسنة ومن سبقوهم او عاصروهم مثل ملوك الدولة الحميرية ومثل الزباء، مما نجده مبثوثا في تاريخ الطبري وفي السيرة النبوية لابن هشام ، وسقط من ذلك كثير إلى أبي الفرج في أغانيه . ومن المحقق أن كثيراً من هذا القصص يخالف التاريخ الحقيقي لهؤلاء الملوك ، على نحو ما هو معروف عن قصة الزباء ، فإنها لا تتفق في

شيء ووثائق التاريخ الروماني الصحيحة حتى اسمها وهو زنوبيا Zenobia حرف إلى الزباء ، وربما جاء هذا التحريف من أن أباها كان يدعى زباى ، فنسبوها إليه وقالوا بنت زباى : ومع مر الزمن حذفوا كلمة بنت : وأبدلوا الياء المتطرفة بعد الألف حسب قواعدهم الصرفية

همزة ، وأدخلوا على الاسم أداة التعريف فأصبح الزباء .

وعلى نحو ما كانوا يقصون عن ملوكهم وأبطالهم كانوا يقصون عن ملوك الأم من حولهم وشجعانهم ، يدل على ذلك ما جاء في السيرة النبوية من أن النضر بن الحارث كان من شياطين قريش وممن كان يؤذى رسول الله ﷺ وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة وتعلم أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم و اسفنديار ، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسا ، فذكر فيه بالله ، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأم من نقمة الله خلفه في مجله إذا قام ، ثم قال : أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه ، فهلم إلى ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس و رستم و اسفنديار. ومما لا ريب فيه أنهم كانوا يقصون كثيرا عن كهانهم وشعرائهم وسادتهم وهو قصص استمدت منه كتب التاريخ والشعر والأدب معيناً لا ينضب من الأخبار ، وارجع إلى تراجم صاحب الأغاني فستراها تحفل بمادة غنية من القصص ، وقد بثوا فيها غير قليل من قصص الهوى . كقصة المرقش الأكبر وصاحبته أسماء بنت عوف، وما كان من عشقه لها وهو غلام ومحاولته خطبتها من أبيها . واعتذار الأب له بحداثة سنه وأنه لم يُعرف بعد بشجاعة. وما كان من انطلاق المرقش إلى بعض الملوك ومديحه له وبقائه عنده زمنا ، وفى هذه الأثناء أصاب عوفاً زمان شديد